

السرقات الفكرية لتراث ابن سينا والرد عليها

قبل أن نستهل بحثنا هذا أرى أنه من الجدير بالذكر أن نشير الى ماذكر في مجلة معهد المخطوطات العربية: (المجلد ١٩ ص ٢٢٧) والتي وضعت بحث قيم بعنوان (مؤلفات ابن سينا المخطوطات في تركيا) بقلم مقداد يالجن. منها (١٢٧) كتابا اتفق على صحة نسبتها إليه، و(١٦٢) كتابا اختلف في نسبتها إليه، و(١٠٢) كتاب مشكوك في نسبتها إليه.ومن فوائد البحث أن رسالته (في ماهية الصلاة) غير كتابه (أسرار الصلاة) وقد طبعت في ليدن سنة1894) م) ضمن أربع رسائل له، هي: (رسالة في العشق) و(رسالة في دفع الغم عن الموت (و(رسالة الزيارة) و(رسالة في ماهية الصلاة) ومعها شروح باللغة الفرنسية.

ومن ذلك (ص٢٥٨) أن رسالة (حي بن يقظان) له، نشرت في مصر، وتوجد منها نسخة تختلف عن المطبوعة، موجودة في تركيا. وله كتاب مطبوع أيضا عنوانه (قصة سلامان وأبسال) مشكوك في نسبته إليه.ومما طبع من رسائله (مقالة في التصوف) طبع عام (١٨٨٤م) و(منتخبات من أشعاره) طبعت في الجزائر.ومن نوادر رسائله: رسالة بعنوان (علة قيام الأرض في حيزها(

ونعود الى بحثنا عن آراء ابن سينا التربوية

ابتدأ ابن سينا كتابه القانون بتعريفه للطب قائلا: " الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة."

كان لابن سينا آراء تربوية وردت في العديد من كتبه التي كتبها بالعربية والفارسية غير أن أكثر آرائه التربوية نجدها في كتاب القانون والتى تعكس أبرز ما تميِّز به المذهب التربوي لابن سينا وهو أن التربية عنده لم تقتصر على مرحلة واحدة وهي دخول الطفل المدرسة بل شملت تربية الطفل منذ لحظة ولادته حتى زواجه وانخراطه في الحياة الاجتماعية كما إنها لم ترتكز على جانب واحد أو بعض جوانب الشخصية الإنسانية لتهمل الجوانب الأخرى بل اهتمَّت بوحدة الشخصية الإنسانية وتكاملها العقلي والجسدي والانفعالي بادئة من لحزة الصفر وهى الولادة فكما جاء فى الفصل الأول في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض يشير ابن سينا في هذا الفصل إلى أنه حالما يولد المولود يبادر إلى قطع سرته فوق أربع أصابع ثم تربط بصوف نقي ثم ينصح ابن سينا بغسل جسم المولود بماء فاتر ويقول في ذلك: "ثم تغسله بماء فاتر وتنقي منخريه دائما بأصابع مقلمة الأظفار وتقطر في عينيه شيئا من الزيت ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح ويتوقى أن يصيبه برد ."
وفيما يتعلق بطريقة إلباس الطفل الوليد، يشير ابن سينا إلى نقطة هامة جدا في قضية التقميط او مايطلق علية العامة المهاد او التدمين والتي تعتبر حاليا حجر الزاوية في مجال الوقاية من حدوث خلع الورك الولادي أو معالجته حيث يجب أن لا يقمط الطفل على نحو مشدود خصوصا بالنسبة للطرفين السفليين إذ يجب أن يتركا بوضعية الثني وعدم شدهما لأخذ وضعية الاستقامة والتي بدورها تؤهب أو تفاقم حدوث خلع الورك الولادي ويقول ابن سينا: "وإذا أردنا أن نقمطه فيجب أن تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرِّض ما يستعرض وتدق ما يستدق وتشكل كل عضو على أحسن شكله كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع ويتوالى في ذلك معاودات متوالية ثم تفرش يديه وتلصق ذراعيه بركبتيه ."
بعد ذلك يصف ابن سينا البيت الملائم للطفل الوليد فيشير إلى أنه يجب أن يكون معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة ما هو لا يسطع فيه شعاع غالب ويجب أن يكون رأس الطفل في مرقده أعلى من سائر جسده، ويحذر أن يلوي مرقده شيئا من عنقه وأطرافه وصلبه .
كما يؤكد ابن سينا على إحمامه بالماء المعتدل صيفا وبالمائل إلى الحرارة الغير لاذعة شتاء، كما أن أصلح وقت يغسل ويستحم به هو بعد نومه الأطول، وقد يجوز أن يغسل في اليوم مرتين أو ثلاثة، وأن ينقل بالتدريج إلى ما هو أقرب إلى الفتور إن كان الوقت صيفا، وأما في الشتاء فلا يفارقن به الماء المعتدل

بخرقة ناعمة ويمسح برفق ويضجع أولا على
بطنه ثم على ظهره

ومما يتضح لنا تأثُّر التربية السيناوية بتعاليم الدين الإسلامي، وبخاصة القرآن الكريم والسنّة النبوية، وكذلك بالفلسفة اليونانية والهلنستية حرصه على تدعيم آرائه بمبررات نفسانية، وقد نجح نجاحاً بعيداً في هذا الميدان، ما يحمل على الاعتقاد أن ذلك عائد إلى حد كبير إلى امتهانه مهنة الطب فلم ينس الاهتمام بالطفل منذ لحظة ولادته، حيث ركَّز على الاسم الجيد للمولود، لما له من انعكاسات على شخصية الطفل، كما ركز على دور الرضاعة من الأم والتى أولاها أهتماما كبيرا منوها لأهميتها إذ يشير إلى أنه يجب بذل كل المحاولات لأن يرضع الوليد من لبن أمه، حيث أنه، وكما يعلل ابن سينا، أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم. ويبين ابن سينا أنه قد صح بالتجربة أن إلقام الطفل حلمة أمه عظيم النفع جدا في دفع ما يؤذيه، كما أنه يفضل أن يلعق الوليد عسلا ثم يرضع. يقول ابن سينا: "من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين أيضا لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال وبمقدار قبوله". في حالة وجود ما يمنع من تلقي الوليد حليب والدته يبين ابن سينا إلى أنه ينبغي أن يختار له مرضعة تنطبق عليها شروط معينة، بعضها في السن وبعضها في السحنة وبعضها في الأخلاق وبعضها في هيئة ثديها وبعضها في كيفية لبنها وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها وبعضها من جنس مولودها. أما فيما يتعلق بشرط سنها فيشير ابن سينا أن أفضل سن هو ما بين خمس وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة فهو سن الشباب وسن الصحة والكمال. أما شروط سحنتها وتركيبها فيجب أن تكون حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته، عضلانية صلبة اللحم متوسطة في السمن والهزال، لحمانية لا شحمانية. وأما في أخلاقها فأن تكون حسنة الأخلاق محمودتها، بطيئة عن الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك فإن جميع ذلك يفسد المزاج. وأما في هيئة ثديها فأن يكون ثديها مكتنزا عظيما وليس مع عظمه بمسترخ، ولا ينبغي أيضا أن يكون فاحش العظم، ويجب أن يكون معتدلا في الصلابة واللين. وأما في كيفية لبنها فأن يكون قوامه معتدلا ومقداره معتدلا ولونه إلى البياض لا كمد ولا أخضر ولا أصفر ولا أحمر، ورائحته طيبة وطعمه إلى الحلاوة لا مرارة فيه ولا ملوحة ولا حموضة، ولا يكون رقيقا سيالا ولا غليظا جدا جبنيا، ولا كثير الرغوة. وقد يجرب قوامه بالتقطير على الظفر فإن سال فهو رقيق، وإن وقف عن الإسالة من الظفر فهو ثخين. بعد هذا يوضح ابن سينا حقيقة لا زال لها أهميته في مسألة إرضاع الوليد؛ وهي مسألة الفطام وهو ما تلح عليه كل المراجع الطبية الحديثة والتي تؤكد أنه لا شيء على الطفل أضر من الفطام المفاجئ، وقد ذكر ابن سينا هذه الحقيقة عندما قال "أنه يجب أن يكون الفطام تدريجيا لا دفعة واحدة."

ولعل من الأمور التى ركز عليها أبن سينا فى كتاب القانون والتى اعتنى بها عناية قصوى هى مرحلة ما قبل المدرسة والتى اعتبرها مرحلة ذهنية مؤاتية نستطيع على اساسها أن نخطّط فيها شخصية الطفل المستقبلية باعتبارها مرحلة قابلة لاكتساب جميع العادات والطباع السيئة والصالحة منها على حدٍّ سواء فيقول (فما تمكن منه من خلق، غلب عليه فلم يستطع له مفارقة ولا عنه نزوعاً(
فلذا يدعو ابن سينا إلى اتباع أسلوب تربوي نبعد فيه الطفل عن الرذائل ونؤمن له تربية صالحة وسليمة يتمثل هذا الأسلوب بإبعاد الطفل عن كل ما هو سيء في محيطه حتى لا يكتسب الطفل هذه الرذائل وهو أسلوب وقائي بحت ولم ينسى بعد ذلك بسط الطريقة التى يمكن معها التعامل مع الصبى وتعليمة فيقول

))وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلّى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحمّ، ثم يغذّى، ويجنبون ما أمكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذه فيهم نيئاً قبل الهضم((

ويذهب ابن سينا الى إن سن السادسة من العمر هي السن المناسبة للبدء بالتعلّم والتى يبدء بها تلقين الطفل اساسيات التعليم واعتنى ايضا بالمناهج التى يلقن بها الصبى فيقول
))إذا اشتدت مفاصل الصبي، واستوى لسانه، وتهيأ للتلقين، ووعى مسمعه، أخذ في تعلم القرآن وصور حروف الهجاء. ولقن معالم الدين (بل انة يذهب الى اكثر من هذا فى الطرق السليمة التى يجب ان يعلم بها الصبى ويتدرج بها فى علمة ومعرفتة فيقول

(إن على الصبي أن يتعلم اولاً الرجز، ثم القصيدة، لأن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن، لكون بيوته أقصر، ووزنه أخف)

وهكذا يكون ابن سينا قد اخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين التلاميذ. فهو يأخذ بيده ويسير معه بما يتناسب مع طاقاته وامكانياته بل تجدة يسلط الضوء على نفسية المتعلم ويحاول أن يكثر من أدوات التحفيز لدية فذهب الى أنه لابد ان يكون التعلم مشترك ليكون أدة الى تحفيز ملكة التعلم لدية فيقول (ينبغي أن يكون مع الصبي صِبْية حسنة آدابهم وطيبة عاداتهم ((ويعلل ذلك بقوله)) ادعى إلى التعلم والتخرج فإنه يباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيارة، ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة، والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهم وتمرين لعاداتهم ((وهذا ما اكتشفه علم النفس الحديث الذى اكد على ضلوع النواحى النفسية التى ذكرها ابن سينا لها دور بارز فى التحصيل العلمى لدى الطفل

ولعل من أهم ما يستحق الاعجاب في أساليب التربية السيناوية ذلك الاهتمام بميول الطلاب وقابلياتهم وتوجيههم نحو الدراسات التي تؤهلهم لها تلك الميول والقابليات مما يعكس مدى أعتنا ابن سينا بالمحفزات النفسية للطالب لقبول العلم فتجدة يقول فى ذلك)) وعلى المؤدب أن يبحث للولد عن صناعة فلا يجبره على العلم إذا كان غير ميال إليه. ولا يتركه يسير مع الهوى، إذ ليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له .لكن ما شاكل طبيعته مناسب، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب دون المشاكلة والملائمة إذن ما كان أحد غفلاً عن الأدب وعارياً من صناعته. وإذن لأجمع الناس على اختيار اشرف الصناعات (

اما مبدء الثواب والعقاب فقد ركز ابن سينا على منحاها المعنوي وليس المادي ورأى أنه ينبغي مراعاة طبيعة المتعلم والعمل الذي أقدم عليه، ويجب أن تتدرَّج من الإعراض إلى الإيحاش، فالترهيب، فالتوبيخ. فالعقوبة عنده إرشادٌ وتوجيه سلوك وحرص على تعديله برفق، كما ويحرص على أن يكون الدافع من وراء العقاب ليس الانتقام والكراهية، بل حسن التربية والإخلاص في العمل.

أما بالنسبة إلى صفات المعلم، فيقول ابن سينا: ((على مؤدِّب الصبي أن يكون بصيراً برياضة الأخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان ((

حيث يجب على المعلم أن يكون عالماً بتعليم نفس الأمور بسن الطفولة والمراهقة، وأن يكون وقوراً ورزيناً، وذلك كما له من أثر مباشر على الطلاب، حيث إنه سيلازمه وهذا أول ما يستقر بطباعه.

وهكذا يكون ابن سينا قد وضع منهجاً تربوياً مستمدة دعائمه من الدين ومن واقع عصره ومجتمعه ليفي بمتطلبات مجتمعه ويساعده على النهوض والخلاص مما هو فيه من انحلال وفقدان للقيم إنها تربية اجتماعية بكل معنى الكلمة متعدّدة الجوانب: فردية، مجتمعية، أخلاقية، دينية، مهنية.

وهذا ما يجعل الشيخ الرئيس من أصحاب المذاهب التربوية الجديرة بالاهتمام والدراسة، وفي مذاهب هذا الفيلسوف من الآراء والنظريات العلمية ما يجعله جديراً بأن يمدّ الإنسانية بمعين لا ينضب من المعرفة، وما يتفرّع منه من تربية وسياسة وإصلاح بعد أن أمدّها بمعين من الفلسفة والطب.

============================

على هامش الموضوع انجازات الداعى والشيخ الرئيس أبن سينا (ق)

عرف ابن سينا بألقاب كثيرة، منها :حجة الحق، شرف الملك، الشيخ الرئيس، الحكم الدستور، المعلم الثالث، الوزير

أما أنجازتة

هو أول من قال بالعدوى وانتقال الأمراض المعدية عن طريق الماء والتراب، وبخاصة عدوى السل الرئوي.

وهو أوّل من وصف التهاب السحايا، وأظهر الفرق بين التهاب الحجاب الفاصل بين الرئتين والتهاب ذات الجنب.

وهو أوّل من اكتشف الدودة المستديرة أو دودة الإنكلستوما قبل الطبيب الإيطالي روبنتي بأكثر من ثمانمائة سنة.

وهو أوّل من اكتشف الفرق بين إصابة اليرقان الناتج من انحلال كريات الدم، وإصابة اليرقان الناتج من انسداد القنوات الصفراوية.

وهو أوّل من وصف مرض الجمرة الخبيثة وسماها النار المقدسة.

وأوّل من تحدَّث وبشكل دقيق عن السكتة الدماغية، أو ما يسمى بالموت الفجائي.

ومن بين إنجازات ابن سينا وإبداعاته العلمية، اكتشافه لبعض العقاقير المنشّطة لحركة القلب.

واكتشافه لأنواع من المرقدات أو المخدّرات التي يجب أن تعطى للمرضى قبل إجراء العمليّات الجراحية لهم تخفيفاً لما يعانونه من ألم أثناء الجراحات وبعدها.

وابن سينا هو الذي اكتشف الزرقة التي تعطى للمرضى تحت الجلد لدفع الدواء منها إلى أجسام المرضى.

كذلك وصف ابن سينا الالتهابات والاضطرابات الجلدية بشكل دقيق في كتابه الطبي الضخم "القانون"، وفي هذا الكتاب وصف ابن سينا الأمراض الجنسية وأحسن بحثها، وقد شخَّص حمّى النفاس التي تصيب النساء، وتوصَّل إلى أنها تنتج من تعفن الرحم.

وكان أحد أوائل العلماء المسلمين الذين اهتموا بالعلاج النفسي، وبرصد أثر هذا العلاج على الآلام العصبية وآلام مرض العشق خاصةً، وقد مارس ابن سينا ما اهتدى إليه من علاجات وطبّقه على كثير من المرضى.

وفي علم الطبيعة، اكتشف ابن سينا أن الرؤية أو الضوء سابقة على الصوت كضوء البرق مثلاً يسبق صوت الرعد، فنحن نرى ومض برقه ثم نسمع صوته.

كذلك تكلم ابن سينا عن أن هناك علاقة بين السمع وتموّج الهواء، فلولا هذا التموّج لما كان هناك انتقال للصوت، ولا استماع له.

ولقد اخترع ابن سينا آلة تشبه آلة الورنير التي تستعمل في زماننا لقياس أصغر وحدة من أقسام المسطرة لقياس الأطوال بدقة متناهية.

ومن كتبة

-الشفاء في أربعة أقسام المنطق، الرياضي، الطبيعي، الإلهياتوهو من موسوعات العلوم ودوائر المعارف، في ثمانية عشر مجلداَ، محفوظة منها نسخة كاملة في جامعة أكسفورد،

-النجاة طبع في القاهرة ١٣٣١هـ 1913 /م ط٢ ١٩٣٨ وضعه الرئيس رغبة في إرضاء بعض أصفيائه، وقد طبع الأصل العربي بعد" القانون" في روما عام ١٥٩٣م، وهو في ثلاثة أقسام؛ المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة،

) -الإشارات و التنبيهات) نشره فورجيه في ليون سنه ١٨٩٢ م.

) -القانون في الطب) طبع أولاً في روما ١٥٩٣ م ثم في القاهره ١٨٧٧ م.

-منطق المشرفين طبع في القاهرة ١٩١٠ م.

-رسالة في ماهية العشق نشرها ميرن عام ١٨٨٩ م ثم أحمد آتشن استنبول عام ١٩٥٣ م.

) -أسباب حدوث الحروف) نشرها الأستاذ خانلري طهران ١٣٣٣.

مجموعة من الرسائل منها: رسالة في الحدود، رسالة في أقسام العلوم العقلية، رسالة في اثبات النبوات، رسالة حي بن يقظان، رسالة الطير.

صادق الود

